عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد الثامن - العدد الرابع 1400 - 1979

4

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين محمد

اعلام من الأندلس في بغداد

بقلم الدكتور
محسن جمال الدين
كلية الاداب/جامعة بغداد

مقدمة

ان خطة البحث تدور في مجملها حول النقاط الآتية : ـ

١ ـ بين بغداد وقرطبة .
٢ ـ اثر بغداد في الاندلس ـ في النواحي : الثقافية، و لادبية ، والفنية .
٣ ـ اثر المعاهد العراقية ، والعلماء العراقيين على الحركة العلمية ، والادبية ،والفكرية في الاندلس .
٤ ـ اثر النتاج العراقي في حركة التاليف الاندلسي.
٥ ـ اثر العلماء والفنانين العراقيين الذين رحلوا الى الاندلس ،واثروا في حياتها الادبية والاجتماعية.
٦ ـ اعلام من الشخصيات الاندلسية التي درست في بغداد ، وعادت تحمل العلم للاندلس .

١ ـ بين بغداد وقرطبة

قال (الحموي) في معجم بلدانه : « بغداد ام الدنيا وسيدة البلاد »(١) .

ووصفها ابن زريق الكوفي الشاعر بقوله :(٢)

سافرت ابغي لبغداد وساكنهـــــا
مثلا ، قـد اخترت شـيئا دونه الياس
هيهات بغداد ، والدنيا باجمعهـــــا
عندي وسـكان بغـــداد هـم النـاس

وقال (ياقوت)(٣) . نقلا عن بعض الافاضل :

« بغداد ، مدينة السلام ، وجنة الارض ، وقبة الاسلام ، وغرة البلاد ، وعين العراق ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومعدن الظرائف واللطائف ! !»

تلك شهادات صادقة عن عاصمة العراق ، في ماضيها التليد ، وحاضرها المجيد .

وذكر ايضا فقال :(٤)

كان (ابن العميد) اذ طرا عليه احد من منتحلي العلوم والاداب ، واراد امتحان عقله سـاله عـن (بغداد) فان فطن بخواصها ، وتنبه على محاسنها، واثنى عليها جعل ذلك مقدمة فضله ، وعنوان عقله ثم سأله عن (الجاحظ) فان وجد اثرا لمطالعة كتبه. والاقتبـاس من نوره ، والاغتراف من بحـــره ، وبعض القيام بمسائله ، قضى له بانه غرة شادخة من اهل العلم والاداب .

وان وجده ذاما لبغداد غفلا عمـا يجب ان يكون موسوما به من الانتساب الى المارف التي يختص بها (الجاحظ) لم ينفعه شيء من المحاسن!!

WWW.ATTAWEB.COM

ولما رجع (الصاحب) عن بغداد سأله (ابن العميد) فقال : بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد فجعلها مثلا في الغاية في الفضل(٥) .

* * *

ان السر الذي يكمن في (بغداد) كعاصمة للخلافة العباسية ، في انها جمعت بين حسن الموقع ، واعتدال الطبيعة ، وتباين المجتمع ، وعمارة الاسواق ، وتصارع الافكار ، وتصادم الآراء ، وتمازج العقول ، وتقبل الغرباء ، والترحيب بالاصدقاء ، ومحاربة الاعداء . الى ندوات العلم العامرة ، ومنائر الدين الشامخة ، ومعاهد المعرفة السامقة ، ومساجد التقوى الواسعة ، وجوامع الفضيلة الهادية ، وخزائن الكتب المزدحمة ، واسواق الورّاقين المتعددة . الى مستشفيات ، ومصحات ، ومنتزهات ، وفنادق ، وحمامات . كلها تدعو للعلم والايمان والفضيلة والصحة والرعاية بالمرض والعجزة والمنقطعين والبائسين . يقابل ذلك حب الخلفاء والامراء والقادة والحكام ، للعلم والمعارف . والعناية ، والرعاية بالعلماء والادباء والشعراء . وكان من ابرزهم . المنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشيد ، والمأمون ، والناصرلدين الله .

هذا في الطرف الشرقي من العالم الاسلامي . وفي العراق ، وعاصمته بغداد .

اما في الطرف الغربي من العالم الاسلامي فتطل علينا (قرطبة) الاندلسية عاصمة الامارة والخلافة الاموية ، وما حل بها من امراء الطوائف ، ومن المتنزين على الخلافة من المرابطين والموحدين

قال : صاحب (الروض المعطار) في موسوعته الجغرافية(٦) عن (قرطبة) :

« وقاعدة الاندلس ، وام مدنها ومستقر خلافة الامويين بها ، وآثارهم بها ظاهرة ، وفضائل(قرطبة) ومناقب خلفائها اشهر من ان تذكر . وهم اعلام البلاد ، واعيان الناس . اشتهروا بصحة المذهب ، وطيب المكسب ، وحسن الزي ، وعلو الهمة ، وجميل الاخلاق .

وكان فيها اعلام العلماء ، وسادات الفضلاء . وتجارها مياسير ، واحوالهم واسعة وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى (جبل العروس) . »

واستمر يصفها ويصف جامعها الكبير فقال :

« وبها الجامع المشهور امره ، الشائع ذكره . من اجل مصانع الدنيا كبر مساحة ، واحكام صنعة وجمال هيئته ، واتقان بنية . صار بحار فيه الطرف ، ويعجز عن حسنه الوصف . وليس في مساجد المسلمين مثله تنميقا وطولا وعرضا ! ! » .

* * *

ومثلما تنافس الشعراء البغاددة من المشارقة في وصف مدينتهم (بغداد) رأينا الاندلسيين اخذوا يجارون اهل المشرق ، في وصف (قرطبة) ومدحها قال الشاعر عبدالحق بن عطية الغرناطي يصفها مادحا :(٧)

بأربع فاقت الامصار (قرطبة)
وهن قنطرة الوادي ، وجامعها
هاتان اثنتان ، والزهراء ثالثة
والعلم اكبر شيء ، وهو رابعها

وقال احد الشعراء في وصف (قرطبة)(٨) .

دع عنك خضرة (بغداد) وبهجتها
ولا تعظم بلاد الفرس والصين
فما على الارض قطر مثل (قرطبة) .
وما مشى فوقها مثل ابن حمدين

والف (ابن سعيد المغربي) كتابا اسماه (الشهب الثاقبة ، في الانصاف بين المشارقة والمغاربة(٩) . وبه يتحدث عن مدن الشرق والاندلس ويقارن بينها . اقتبس منه (ابن فضل الله العمري) في كتاب (مسالك الابصار) .

وزارها (ابن حوقل الموصلي) ووصفها في (رحلته) وقارن بينها وبين بغداد . فقال : ــ(١٠)

« هي اعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب لها عندي شبيه في كثرة اهل ، وسعة محل . وفسحة اسواق ، ونظافة محال ، وعمارة مساجد ، وكثرة حمامات وفنادق .

ويتعدد الكتّاب والمؤرخون الاندلسيون الذين امتدحوا بلادهم ، كابن سعيد المغربي ، وابن حيان ، والرازي ، والحجازي وغيرهم » .

ومما قاله (الحجاري) عن (قرطبة)(١١) :

« منتهى الغاية ، ومركز الراية ، وام القرى ، وقراره اولي الفضل والتقى ، ووطن اولي العلم والنهى ، وقلب الاقليم ، وينبوع متفجر العلوم ، ودار صوب العقول ، وبستان ثمر الخواطر ، وبحر درر القرائح ، ومن افقها طلعت نجوم الارض ، واعلام العصر ، وفرسان النظم والنثر ، وبها انشئت التاليف الرائقة ، وصنفت التصنيفات الفائقة » .

وهذه شهادات لها قيمتها في عالم التاريخ ! !

٢ ــ اثر بغداد في الاندلس ، في النواحي الثقافية ، والادبية ، والفنية .

ان نظرة عامة على العاصمتين العباسية ، والاندلسية نجد ان (بغداد) هي صاحبة الفضل والايادي السابغة على (قرطبة) . فلقد كان العالم في الاندلس لا يجد له منزلة بين قومه حسب ــ قول المصادر الاندلسية ــ القديمة . ما لم يكن قد زار بغداد . واتصل بالمشرق عن طريق الرحلة والدراسة والتحصيل والزيارة .

واذا استعرضنا جمهرة العلماء الوافدين الى المشرق عامة ، وبغداد خاصة كما ذكرهم اصحاب المكتبة الاندلسية .B.A.H ، كابن الفرضي وابن بشكوال ،وابن الابار ، والحميدي ؛ وابن خير الاشبيلي ، وابن سعيد المغربي ، والمقري لدهشنا من كثرة عددهم ، واختلاف طبقاتهم ، وثمرات عقولهم ، وعظيم نتاجاتهم ، العلمية ، والادبية ، والفكرية ، واللغوية ؛ والفقهيه .

ولقد قمنا بدراسة منذ سنوات عنهم بعنوان (الاندلسيون الاوائل من حملة الثقافة العراقية)(١٢) ونشرناها في (مجلة كلية الاداب) (جامعة بغداد) .

ومثلما كان خلفاء بني العباس يشجعون العلم والعلماء . كان خلفاء بني امية في الاندلس يدعون الى ذلك ، ويبذلون الاموال في سبيله . ففي(قرطبة) كانت اسواق الكتب رائجة ، ومنتديات العلم منتشرة .

ومن اعظم اولئك الامراء والخلفاء باني في المقدمة (صقر قريش) الامير عبدالرحمن الداخل ؛ والامير عبدالرحمن الثاني (الاوسط) ، وعبدالرحمن الناصر ، والحكم المستنصر(١٣) .

ونلاحظ ان صاحب الفضل الكبير في فتح ابواب الاندلس امام الثقافة البغدادية العراقية . كما اجمعت عليه المصادر القديمة ، والمراجع الحديثة . انما هو عبدالرحمن الاوسط الذي تولى السلطة عام (٢٠٦هـ ــ ٨٢٢م) واتسع مجال النشاط الفني والادبي في عهده ، لانه كان مثقفا ، شاعرا ، محبا للفلسفة والشريعة .(١٤) ورحب بالوافدين اليه من (بغداد) واستقبلهم خير استقبال وافاد مما حملوه معهم من طرز الحياة ، وانماط الحضارة ، وتعدد الثقافات .

وان التأثيرات البغدادية على الحضارة الاندلسية ، لم تكن مقتصرة على الفن وطراز العيش؛ بل رايتا تاثير الشعر العباسي والنثر ، يبدو واضحا على الادب الاندلسي ؛ في بداية مدرسته المحافظة ؛ وفي حركة مدرسته المجددة .

واصابت اهل الاندلس من الشعراء والمؤلفين غيرة التقليد والمعارضة . يسيرون فيها على شاكلة البغاددة واهل العراق .

فابو تمام المغرب ، ومتنبي المغرب ؛ وبحتري المغرب . وغير هذه الالقاب والمظاهر ! ! كما عورضت قصائد ابي تمام ، والبحتري ؛ وابي نواس ، والمتنبي والمعري ، والشريف الرضي .

ونقد بعضها ودرسه دراسة محايدة (ابن بسام) في (ذخيرته)(١٥) كما اخذ على بني قومه تقليدهم للمشارقة . ــ ولكنه ــ قد نسي نفسه يوم تاليفه لكتاب (الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة) الذي سار به على غرار (يتيمة الدهر) للثعالبي(١١)

ولقد قال حانا قومه ، ومشيرا لتقليدهم :

.. « الا ان اهل هذا الافق ، ابو الا متابعة اهل المشرق ؛ يرجعون الى اخبارهم المعتادة ، رجوع الحديث الى قتادة . حتى لو نمق بتلك الآفاق غراب ، او طن باقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما ؛ وتلوا ذلك كتابا محكما »(١٧) .

وهذا برهان ساطع على تاثر اهل الاندلس بالمشرق ، واهتمامهم بما تبدعه القرائح العراقية في بغـــداد .

٣ ــ اثر المعاهد العراقية والعلماء العراقيين على الحركة العلمية والادبية في الاندلس .

كانت ابواب دار الحكمة ، والنظامية ؛ والمستنصرية مشرعة امام الوافدين اليها من الاندلس وبقية الاقطار الاسلامية شرقا وغربا . وفي (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي .

وكتب البلدان ، والمدن ، والرجال ، والتراجم ، الامثلة التي لا يحتاج لها دليل وبرهان على عظمة الحركة العلمية في العراق .

ومن الطبيعي ان الطلبة الوافدين من الاندلس شانهم ، شان الاخرين ، يتلقون العلم على جلة العلماء المشهورين ، في مختلف حقول الثقافة ، واللغة ، والفقه ، والادب . وغيرها من فنون المعرفة الانسانية والعلمية .

وقد وجدنا منهم طبقة درست على الامام (الغزالي) كالمهدي بن تومرت رئيس حركة الموحدين الذي جاء من المغرب ، وادخل مباديء حركته

الدينية والسياسية في عقول انصاره الذين اسسوا دولتهم في المغرب واحتلوا بعدها الاندلس(١٨) .

ووجدنا القاضي (ابا بكر ابن العربي) يصاحب العالم العراقي ابا بكر الشاشي(١٩) ووجدنا الحميدي يعيش في بغداد ويتتلمذ على الخطيب البغدادي ؛ ويتلقى العلم على طبقة اخرى من مشاهير العلماء ؛ ويؤلف كتابه الشهير (جذوة المقتبس)(٢٠) في بغداد، ولم يغادرها وفضل البقاء فيها حتى مات ودفن في تربتها .

وهناك عالم الاندلس المعروف (ابو الوليد الباجي) الذي قضى شطرا من حياته في بغداد تلميذا وعاد لبلده عالما ، وقد تتلمذ على ابي الطيب الطبري في بغداد ؛ وعلى ابي اسحق الشيرازي .

والملاحظ ـ مع الاسف ـ ان اغلب هؤلاء العلماء الذين استوطنوا (بغداد) زمنا ثم عادوا لوطنهم ، لم يضعوا لنا كتبا عن انطباعاتهم ؛ وقضايا حياتهم ؛ وتراجم علمائهم ، الذين تلقوا العلم عنهم ، الا فئة قليلة من اصحاب (الرحلات) الذين زاروا البلاد ووصفوها وصفا يختلف اختصارا وشمولا ، وعمقا وسطحية .

ومن هؤلاء الرحالة الاندلسيين (بنيامين التطيلي) الذي جاء ليستطلع احوال اليهود في الشرق الاسلامي والف رحلته المعروفة باسمه(٢١) .

وكذلك الرحالة الكناني (ابن جبير الاندلسي) الذي وصف الاقطار الاسلامية التي مر عليها ومن ضمنها العراق(٢٢) .

اننا اذا اردنا ان ندرس الخطى الاندلسية التي جاءت من ديار الاندلس باصحابها الى (بغداد) نجدها قد مرت على بلاد متعددة برية ، وبحرية ، ومغربية ، وشرقية .

وقد سلكت في سيرها طريق البحر والبر . طريق البحر في العبور من الجزيرة الخضراء ؛ و (جبل طارق) ؛ وموانى الاندلس الجنوبية والدخول الى (سبته) ومن ثم السير برا في سواحل الشمال الافريقي . والوصول الى (مصر) والبحر الاحمر ، وزيارة الديار المقدسة ، وبيت المقدس ؛ وبلاد الشام ، والعراق . ومنهم من يجعل السفر بالسفن التي تمخر في البحر المتوسط وينزل في بعض جزره ، ثم يواصل الرحلة حتى ترسوا به باحدى الموانى العربية . وبعدها يسلك طرق البر كي توصله الى (دار السلام) ! !

وفي رحلة (ابن جبير) المثال على ذلك ! !

وكان من الطبيعي ان تجذب بغداد اليها المديد من الناس من هنا وهناك . من اقاصي المشرق الاقصى، وما وراء النهر ، الى سواحل الاطلسي ؛ واطراف المغرب ؛ وكل هؤلاء كانوا يفدون اليها للعلم ، والتجارة ؛ والسياحة ، والاطلاع ، والمراقبة ، ورصد المعلومات ونقل الاسرار ، وفي رحلة (التطيلي) ما يدل شاهدا على ذلك الامر ؛ ومثالا على الغرض الخفي لتلك الرحلة ! ؟ .

كما ان الامر يكون معكوسا احيانا للغرض نفسه من العراق الى الاندلس . كما وجدناه في رحلة (ابن حوقل) الموصلي ، الذي زار تلك البلاد ؛ وصور واقعها الاجتماعي ، والسياسي ؛ والعلمي . وقد اتهم بان زيارته ورحلته كانت بدافع سياسي ، من الخلافة العباسية ! ! ؟(٢٣) .

٤ ـ اثر النتاج العراقي في حركة التاليف الاندلسي

مما لا شك فيه ان مدرسة بغداد العلمية ، كانت هي الرائدة في حقل الترجمة ، والتاليف . من طب ، وفلسفة . وحكمة ، ومنطق، وكلام ، واداب، وتاريخ ، وجغرافية ؛ وعلوم ؛ وفنون .

وكان العراقيون هم الاساتذة في مختلف هذه الميادين ، لما ترجموه ، ودرسوه ، واخذوه ، وهضموه ، من الامم الاخرى وما ابتكروه بانفسهم . بحيث امتزجت تلك الثقافات في بوتقة الفكر العربي، واصبحت ذات طابع عراقي عربي معروف .

وفي اي ميدان من الميادين العلمية ؛ والادبية ؛ والثقافية . كان لبغداد الحصة الكبيرة ، والريادة الهادفة النافعة .

فاذا الف (الجاحظ) مثلا رسالة التربيع والتدوير . سار على خطاها في النقد والفكاهة (ابن زيدون) في رسالته الهزلية .

واذا الف (ابن داود الظاهري) كتابه (الزهرة) الف هناك (ابن فرج الجياني) كتابه (الحدائق) ؛ واذا صنف (الثعالبي) يتيمة الدهر ، راينا (ابن بسام) يؤلف الذخيرة في محاسن (اهل الجزيرة) .

واذا الف (ابن سينا) (حي بن يقظان) في المشرق ، راينا (ابن طفيل) يؤلفه في الاندلس . واذا صنف (ابن قتيبة) كتابه (عيون الاخبار) في بغداد. وجدنا (ابن عبد ربه) يؤلف (العقد الفريد) . وهكذا تستمر هذه الصورة في مختلف الاطارات التي تحيط بها(٢٤) .

وقد نقلت روائع العراق الى الاندلس عن طريق طلبة العلم ، والمسافرين ، والرحالة ، والتجار ، والوسطاء ، والوافدين ، والمهاجرين الى هناك . وتشجيع الخلفاء الامويين في قرطبة ، والامراء في اشبيلية ، وبقية مدن الاندلس الزاهرة . لنقل تلك الروائع . كما حدث ذلك في زمن الناصر والحكم المستنصر في (قرطبة) وابراهيم بن حجاج في (اشبيلية)(٢٥) والمثال على ذلك كتاب (الاغاني) الذي انتشر في قرطبة قبل ان يقرا في (بغداد) . لكن يا ترى ؛ ما هو المعيار الفني ، والنقدي ، للمقارنة بين هذين النتاجين ، العراقي ، والاندلسي ؟؟

ان لتلك البلاد نتاج له خصائصه ، وله روعته. ولكن يبقى اثر العراق هو البارز ، وثمرات اقلام ابناء الرافدين هي المتميزة على غيرها . اللهم الا باختراع الفنين الشعريين (الموشحات) ، و (الازجال) . اللذين تميزت بهما العبقرية العربية في الاندلس ! ! .

٥ ـ اثر العلماء والفنانين العراقيين الذين رحلوا الى الاندلس ، واثرو في حياتها الادبية والاجتماعية

في بعض ظروف لم يكن معلوما لدينا سرها الان، بوضوح ، عن اسباب هجرة من العلماء ، وارباب الفن العراقي ، للاندلس في عصر كان مزدهرا ، حسب قول المؤرخين العرب ؛ فمنهم من كان يعزي هجرتهم الى اضطهاد فكري ، ومنهم يرجعها الى فقر مادي ، ومنهم من يعللها الى حب المغامرة والاستطلاع . ومهما كانت الاسباب . فقد حفلت كتب التراجم الاندلسية بطائفة من اخبار (الغرباء) الذين وفدوا على الاندلس و (الطارئين) عليها . وفي مجموعة (المكتبة الاندلسية) B. A. H. الكثير منهم . وفي (الذخيرة) لابن بسام ابرزهم ، وفي (نفح الطيب) اشهرهم .

ومن هؤلاء من دخلها في عصر الامارة ، ومنهم ايام الخلافة ، ومنهم في عصر الانحدار والتاخر والفتنة ، وعصر الطوائف ، وايام المرابطين والموحدين ونهاية مملكة غرناطة .

وكان من ابرزهم دون منازع العالم العراقي (ابو علي القالي البغدادي)(٢٦) الذين ذهب اليها ايام الناصر لدين الله (٣٠٠هـ ـ ٣٥٠هـ) و (صاعد البغدادي)(٢٧) الذي قصدها ايام المنصور بن ابي عامر (٣٢٦هـ ـ ٣٩٢هـ) و (زرياب المغني البغدادي)(٢٨) الذي هاجر اليها ايام الامير عبدالرحمن الثاني (١٧٦ ـ ٢٣٨هـ) والشاعرة المغنية (قمر البغدادية)(٢٩) التي جلبها واشتراها الامير ابراهيم بن حجاج الاشبيلي وهي التي حنت لوطنها العراق ؛ ولايام (بغداد) فقالت :(٣٠)

آها على بغدادها وعرافها
وظبائها والسحر في احداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه
تبدو اهلتها على اطواقها
متبخترات في النعيم كانما
خلق الهوى المذري من اخلاقها
نفسي الفداء لها فأي محاسن
في الدهر تشرق من سنا اشراقها

والعالم الشاعر (ابو الفضل البغدادي) الذي ترجمه (ابن بسام) في (ذخيرته) ونقل لنا طائفة كثيرة من اشعاره والتي منها يتشوق لبلاده حيث قال :(٣١) وكان ذلك في عصر الطوائف : ـ

اهيم بذكر الشرق والغرب دائبا
وما بي شرق للبلاد ولا غرب
ولكن أوطانا نأت واحبة
فقلت متى أذكر عهودهم أصب
اذا خطرت ذكراهم في خواطري
تناثر من أجفاني اللؤلؤ الرطب
ولم أنس من ودعت بالشط سحرة
وقد غرد الحادون واستعجل الركب
اليفان هذا سائر نحو غربة
وهذا مقيم سار عن صدره القلب

وقال (ابن بسام) في القسم الرابع من (ذخيرته) عن هؤلاء الوافدين(٣٢) .

« افردته لمن طرا على هذه الجزيرة في المدة المؤرخة من اديب شاعر ، واوى الى ظلها من كاتب ماهر ، واتسع فيها مجاله ، وحفظت في ملوكها اقواله ووصلت بهم ذكر طائفة من مشهوري اهل تلك الافاق ، ممن نجم في عصرنا بافريقية والشام والعراق » .

وقد عد في مقدمتهم (صاعد البغدادي) اللغوي وتلاه (بأبي الفضل الشاعر البغدادي) اما صاحب (النفح) فقد اشار في مقدمة تراجم الوافدين الى الاندلس بقوله :(٣٣)

.. « اعلم ان الداخلين للاندلس من المشرق قوم كثيرون لاتحصر الاعيان منهم ، فضلا عن غيرهم ،

ومنهم من اتخذها وطنا ، وصيرها مسكنا ، الى ان وافته منيته ، ومنهم من عاد الى المشرق بعد ان قضيت بالاندلس امنيته . » وترجم لبعض هؤلاء البغداديين وذكر مجموعة من اشعارهم ومنهم .

(ابو الحسن البغدادي الفكيك)[٢٤] . وكان كما قال حلو الجواب ، مليح التندر ، يضحك من حضره ولا يضحك هو اذا ندر . عاش في عصر الامير (المعتمد بن عباد) صاحب (اشبيلية) ومما قاله في مدح (المعتمد) وبه اشارة طريفة للحنين الى الوطن ، ولمحبته الى (بغداد) ، والى كرم الممدوح وجوده .

.. ولي بحياك الربع عاما واشهرا
ازخرف اعلام الثناء وارقم
وانفقت ما اعطيتني ثقة بما
اؤمّل فالدينار عندي درهم
وقلبي الى (بغداد) يصبو وانني
لنشر صباها دائما اتنسم

وذكر لنا من الوافدين على الاندلس من اصحاب الخط والضبط (ظفر البغدادي)[٢٥] الذي قصد الحكم المستنصر ، وعاش في (قرطبة) وكان من رؤساء الوراقين المعروفين في عصره كعباس بن عمرو الصقلي ، ويوسف البلوطي . وجعله الخليفة الاندلسي (الحكم) في مقدمة خطاطي قصره ، وفي خزائن مكتبته الشهيرة ! !

* * *

وهناك ايضا من الراحلين العراقين الذين لعبوا دورا في الحركة الادبية والفنية في الاندلس .

الشاعر (سعيد البغدادي)[٢٦] (وابو محمد العذري) النحوي ، وكل هؤلاء الذين ذكرناهم منحوا ابناء الاندلس الكثير من ادابهم ، وعلومهم ، وفنونهم وكانوا حركة دائمة ، ونشاطا مستمرا ، في خلق الجو الادبي والفني هناك ، وفي تأثيرات (القالي البغدادي) وما القاه من محاضرات ، وما الفه من كتب ، وما بثه من حياة فكرية . لخير دليل على اثر العراقيين في ديار الاندلس النائية .

ناهيك باثر (زرياب) الفني والاجتماعي وما قدمه للمجتمع الاندلسي من عطاء لا ينكر فضله ، ومن فنون لا تجحد قيمتها . كان من ابرزها التطور الموسيقي والغنائي الذي ساعد وخلق فيما بعد الجو المناسب لانتشار الموشحات ، وتقبل وجودها ومزاحمتها لمدرسة الشعر العربي الخاضع للروي والقافية والبحر الواحد .

والاندلس هي التلميذة النابغة ، التي تخرجت في جامعة (بغداد) وافادت من ثقافة اساتذتها ، وتاليف علمائها بحيث انها لم تستطع يوما ان تنكر هذا الفضل ، او تجحد ذلك العلم ، او تتناسى تلك الروابط العربية والاسلامية .

* * *

والغريب في تأثير العراقين على الاندلسين ان الخلفاء انفسهم هناك اصابتهم حرارة الغيرة من بني العباس في بغداد . فترصدوا اخبارهم ، وتشبهوا بطرز الحياة ، وانماط العيش ، التي كانت تدور في قصورهم ، وفي جنبات جنائنهم . وفي اروقة مجالسهم الخاصة والعامة . فاذا نظم خليفة عباسي ابياتا يتغزل بها بجارية من جواريه ، جرى على نمطها ، وسار على غرارها امير او خليفة اموي اندلسي .

ولم يكتفوا بهذا بل راياهم يؤلفون فرقا من الجند والحرس[٢٧] المرتزقة على غرار ما كان يفعله المأمون والمعتصم في العراق . ويبدون في المجتمع وهم بأبهى زينة ، وبمختلف الالقاب . كما حدث ذلك ايام امارة (الحكم الربضي) في حوادث الثورة والفتنة التي قامت في عهده .

ولم يرتح الامير (عبدالرحمن الثاني) الاوسط الا بشراء التحف العباسية ، التي تناثرت بعد مقتل (الامين) ومنها العقد النفيس المسمى (بعقد الشفاء) الذي كانت تمتلكه (السيدة زبيدة) والذي وصل بعد ذلك الى (قرطبة) لتتحلى به (طروب) محظية الامير عبدالرحمن الاوسط ! ! !

٦ ـ اعلام من الشخصيات الاندلسية التي درست في بغداد ، وعادت تحمل العلم للاندلس .

لا نريد في هذه الدراسة ، ان نعدد ونذكر جميع من دخل (بغداد) من الاندلسيين ، ودرس فيها ، وتتلمذ في معاهدها ، فذاك امر تصعب الاحاطة به ، والتتبع لدقائقه . لاسباب لا يمكن حصرها الان . منها ان بعضهم لم يكن بالعالم الشهير ولا بالذكي المتميز ، ولا بالمؤلف البارع ، ولا بالشاعر المعروف .

ومنها ان بعضهم لم يستوطن (بغداد) زمنا طويلا ، صابرا على طلب العلم ، متحملا لالام الغربة ، وقساوة الفاقة ! ! والطبيعة ! !

غير اننا نقتصر الان على البارزين منهم ، والذين عادوا لبلدهم فاثروا في حركته العلمية ، والادبية ، والفكرية . على ان لنا عودة ـ ان شاءالله ـ في تاليف

كتاب يضم شملهم ، ويجمع شتاتهم . ويدرس اهم مظاهر حياتهم ، وما خلفوه لنا من آثارهم .

* * *

هناك سؤال يتبادر الى الذهن ، ويلح على الفكر . وهو كيف عاش اهل الاندلس في بغداد ؟ وكيف كانوا يتحملون طبيعة المناخ العراقي ؟ وهل اختلطوا في المجتمع العباسي ؟ . وهل جمعوا بين العمل والعلم ؟ وهل سكنوا جانب الرصافة ـ لكثرة المعاهد العلمية فيها ، اكثر من جانب الكرخ ؟ وهل كان يشملهم نظام الاعطيات ، والرواتب ، والمنح المالية ، التي يعطيها اصحاب الخير ، والهبات ، والاموال ، والدولة ، لطلبة العلوم ؟ وهل تقرب بعضهم لدور الخلافة العباسية ، واحتلوا منزلة مرموقة فيها ؟ وهل منهم من فضل البقاء في (بغداد) وعدم العودة الى اهله ووطنه ؟

اننا لم نجد ـ مع الحسرة والاسف ـ من الف لنا منهم تاريخا وسجلا لرحلتهم الى العراق . او كتب لنا وصفا لما كان يحيطهم بوملك ولعل الايام القابلة تكشف لنا مخطوطا لمؤلف اندلسي ـ صور لنا فيه حياة العلماء الاندلسيين في (بغداد) ، وليس في الحياة شيء غريب ، ولا في الوجود امر مستبعد ! !

نعم ! وجدنا وصفا مفيدا لحياة (الحميدي) ولابي الوليد (الباجي) ؛ الذي كان يشتغل حارسا في الليل ، ويدرس في النهار ، وقد صبر فظفر ، ورجع الى الاندلس يحمل معه ثروة علمية وخطية من آثار العراق الثقافية . ومنهم من اسمى نفسه (بالبغدادي) لطول اقامته في (بغداد) وحبه لها ! ! امثال ابي عبدالله محمد بن احمد بن ابراهيم الخزرجي(٣٨) ومنهم من اسماه العراقيون لعلمه وبراعته في الطب (بحكيم الزمان) وهو ابو الفضل محمد بن عبدالمنعم الجلياني الطبيب(٣٩) الذي درس في (النظامية) .

ومنهم من قضت عليه همجية التتر ووحشيتهم فمات شهيدا غريبا محتسبا ، امثال ابي عبدالله محمد بن احمد الزهري الاشبيلي(٤٠) .

* * *

وقد اخترت لهذه الدراسة مجموعة من اولئك الاعلام ، واقتصرتهم على (عالم) و (اديب) ؛ و (شاعر) ؛ و (رحالة) . ولم ارد الشمول والاطالة. ومن هؤلاء الخالدين فئة كان لها مقامها ، ولها علمها، ولها اثرها الطيب ، في دنيا العلوم والمعارف ، وفي ميدان التاليف والتدريس ، وفي رياض الشعر والادب ! !

ابو الوليد الباجي(٤١)

(٤٠٣هـ ـ ٤٧٤هـ)

(عالم من الاندلس)

التعريف به :

ابو الوليد سليمان بن خلف بن وارث الباجي. اصله من مدينة (بطليوس) Badajos وانتقل اباؤه الى (باجه) Baje واليها نسب .

عالم جليل من الاندلس ، درس في بلده على نخبة من العلماء منهم : ابو الاصبغ ؛ ومحمد بن اسماعيل ، وابو محمد مكي بن حموش ، وابو شاكر وغيرهم ...

قصد المشرق عام ٤٢٦هـ ، وجاور بمكة المكرمة ، ودخل الموصل ، واستوطن بغداد زمنا ، وكان من زملائه واساتذته المشهورين الخطيب البغدادي .

صفاته :

يتميز عمن سواه ، في انه كان صلب العود ؛ فقيها ، شاعرا ، ناثرا ، مفسرا ، اديبا . ثارت عليه العامة يوم ان عاد الى وطنه وناظر ابا بكر الصائغ في قضية امية الرسول الاعظم (ص) في حديث الكتابة يوم (الحديبية) الذي ورد في البخاري . وقال ابو الوليد (الباجي) بظاهر لفظة . وصنف ابو الوليد رسالة بين فيها ، ان ذلك غير قادح في المعجزة(٤٢) .

روى عنه حافظ المشرق والمغرب . ابن عبد البر في الاندلس ، والخطيب البغدادي في العراق . وكان يسمى (بشيخ الاندلس) .

قال عنه (ابن بسام) في ذخيرته :(٤٣)

« غنى الزمان بغرائب شعره ، حتى جن الاحسان بذكره ، واستغنت مصر والقيروان بخبره عن خبره. ولم تزل تلك الآفاق تراسله ، وعجائب الشام والعراق تغازله » .

« دخل (بغداد) والحرمان قد كساه سرابيل، ورماه بطير ابابيل » .

ووصفه ابن خاقان في (قلائده)(٤٤) فقال :

« كان امام الاندلس الذي تقتبس انواره ، وتنتجع نجوده وانواره ، رحل الى المشرق فمكف على الطلب ساهرا ، وقطف من العلوم ازاهرا . »

وذكر صاحب (النفح)(٤٥)

بانه كان يؤجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب؛ لفقره وحاجته .

وفي هذه المناسبة جرت بينه وبين (ابن حزم الظاهري) مناظره . حول همة كل واحد منهما في طلب العلم ، وما وصل اليه من منزلة ومقام(٤٦) .

قال (الباجي) يخاطب (ابن حزم) :

« انا اعظم منك همة في طلب العلم ، لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب . وطلبته وانا اسهر بقنديل بائت السوق .

فقال (ابن حزم) .. هذا الكلام عليك لا لك ، لانك انما طلبت العلم ، وانت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي ، وانا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته ، فلم ارج به الا علو القدر العلمي في الدنيا والاخرة . فافحمه !! » .

لله درهما ! ودر اصحاب الهمم العالية في طلب العلم ، والسعي وراء المجد ! !

من ازاهير شعره ..(٤٧)

قال (الباجي) من قصيدة رائعة يمدح بها قاضي القضاة ببغداد (ناصح الدين وتاج الاسلام) السمناني جاء منها .

ما طال عهدي بالديار وانما
انى معاهدها اسى وتبلد
.. لله ايام الشباب وحسنها
وغصونهن المائسات الميد
ايام انفض للمراح ذؤابتي
بين الشباب ودرع بُردي مجسد
انقنص الظبيات في سبل الصبا
فيصيدهن لي العذار الاسود
حتى علاني الشيب قبل تحلم
وابر ما سبق المشيب المولد

ومنها :

ما هالني صعب المرام ولا الذي
تستبعد الايام عندي يبعد
استقرب الغزو البعيد بهمة
ادنى منازلها اليها والفرقد
اسري اذا عنكر الظلام وقادني
امل ، مطالبها العلا والسودد

مؤلفاته :(٤٨)

له آثار عديدة المناحي ، ومختلفة المواضيع . ولكنها في الغالب تدور حول فقه المذهب المالكي . سردها (ياقوت) في معجم ادبائه(٤٩) ونذكر الان ابرزها اثرا ، واغلبها شهرة :

١ ــ الاستيفاء في شرح الموطأ .
٢ ــ المنتقى .
٣ ــ الايماء .
٤ ــ السراج .
٥ ــ التعديل والتجريح .
٦ ــ احكام الفصول .
٧ ــ المعاني .
٨ ــ تفسير القرآن .
٩ ــ المقتبس في علم مالك بن انس .
١٠ــ الناسخ والمنسوخ .

القاضي ابو عبدالله محمد بن ابي عيسى الليثي(٥٠)

(٢٨٤هـ ــ ٣٣٧هـ)

(اديب من الاندلس)

التعريف به :

هو ابو عبدالله محمد بن ابي عيسى من بني يحيى بن يحيى الليثي . اديب ، قاضٍ ، شاعر . من اسرة عرفت بالعلم ، والوجاهة ، والادب .

جعله الناصر لدين الله قاضي الجماعة بقرطبة سنة ٣٢٦هـ . وقدمه على الاخرين ، وجعله كذلك سفيرا بين الامراء ، ومشاورا في شؤون الحرب والقضاء .

صفاته :

لطيف المعشر ، سمح الخلق ، طيب النفس ، رقيق الحاشية ، يهتز للشعر ، ويرتاح للجميل ، له ثقافة عالية . في قضايا الشعر ، ومعانيه ، وفي اللغة ، ومشاكل الاعراب . وصفه (ابن خاقان) في مطمح الانفس فقال : عنه « ثنينة علم وعقل ، وصحة ضبط ونقل » . واشار عنه صاحب(النفح) وذكر صفاته « كان له نصيب وافر من الادب ، وحظ من البلاغة اذا نظم او كتب » .

من لطائف اخباره واشعاره :(٥١)

ذكر (الحميدي) في (جذوة المقتبس) رواية عن ابي محمد علي بن احمد . قال: اخبرني القاضي ابو الوليد يونس بن عبدالله عن ابيه . انه شاهد قاضي الجماعة محمد بن ابي عيسى في دار رجل من بني حدير مع اخيه ابي عيسى . في ناحية مقابر قريش ، وقد خرجوا لحضور جنازة ، وجارية للحديري تغنيهم هذه الابيات :(٥٢)

طابت بطيب لثاتك الافداح
وزهى بحمرة خدك التفاح

واذا الربيع تنسمت ارواحه
طابت بطيب نسيمك الارواح
واذا الحنادس البست ظلماءها
فضياء وجهك في الدجى المصباح

قال : وكتبها قاضي الجماعة في يده ، ثم خرجوا ،

قال : فلقد رايته يكبر للصلاة على الجنازة ، والابيات مكتوبة على باطن كفه ! !

ومن شعره :

بعد ان عاد الى وطنه ، من غربة شاقة ، ونوى مؤلم : ـ(٥٣)

كان لم يكن بين ولم تك فرقة
اذا كان من بعد الفراق تلاق
كان لم تؤرق بالعراقين مقلتي
ولم تمر كف الشوق ماء مآقي
ولم ازر الاعراب في جنب ارضهم
بذات اللوى من راقة وبراق
ولم اصطبح بالبيد من قهوة الندى
وكاس سقاها في الازاهر ساق

ومن شعره في الحنين الى (قرطبة) قوله:(٥٤)

ماذا اكابد من ورق منفردة
على قضيب بذات الجزع ميماس
رددن شجوا شجا قلب الخلي فهل
في عبرة ذرفت في الحب من باس
ذكرنه الزمن الماضي بقرطبة
بين الاحبة في امن وايناس
هم الصبابة لولا همة شرفت
فصيرت قلبه كالجندل القاسي

هذه شخصية من شخصيات الاندلس ؛ امتازت بصفات العلم والادب ، وافادت من ثقافة العراق والمشرق . وعادت تحمل لوطنها الظرف العراقي ؛ والاخلاق البغدادية . وامثالها الكثيرون في سجل التاريخ ! .

ابو بكر بن العربي(٥٥)

(٤٦٨هـ ـ ٥٤٣هـ)

(شاعر من الاندلس)

التعريف به :

هو ابو بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري من اشبيلية . اشتهر بأدبه ، وعلمه ، وشعره ، ورحلته الشهيرة . وبكتابه المعروف (العواصم من القواصم) .

زار المشرق مع والده ، وكان صغيراً ولاقى الشدة والعذاب ، في مطلع حياته ، واوان شبابه ؛ وبداية سفره زار المغرب ، ومصر ، والقدس ، والديار المقدسة ، والعراق . واتصل بالعالم الزاهد ابي بكر الطرطوشي صاحب كتاب (سراج الملوك) . وقصد دمشق واخذ عن عالمها ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي .

ودخل (بغداد) مع والده ايام الخليفة المقتدى بالله .(٥٦) ومن اساتذته في دار السلام . ابو الحسين المبارك ، وابو الحسن علي بن ايوب البزاز والقاضي ابو البركات الحنبلي ، وابو بكر محمد الشاشي الشافعي . واتصل بالامام حجة الاسلام (الغزالي) في المدرسة النظامية ، وفي دمشق ، ولازمه زمنا ، وكان من تلامذته المقربين. اضافة لاساتذته في الاندلس كالقرطبي . وغيره ..

صفاته :

امتاز (ابن العربي) ، بالجراة في القول ؛ والصراحة في الراي ، والصبر على المكاره ، وعاش في عصر الطوائف . وفي اعماله القضائية عرف بالصرامة ، والشدة في الاحكام . مع الرفق بالضعفاء والمساكين . ووصلت اليه الرياسة الدينية ايام المرابطين .

وصفه ابن سعيد المغربي بقوله(٥٧) « طبق الآفاق بفوائده ؛ وملأ الشام والعراق بأوابده ، وهو امام في الاصول والفروع » .

اما ابو نصر الفتح بن خاقان فقد وصفه في (المطمح)(٥٨) حيث قال عنه : « علم الاعلام الظاهر الاثواب ؛ الباهر الالباب .. سقى الله به الاندلس بعدما اجدبت من المعارف ، ومد عليها منه الظل الوارف . فكساها رونق نبله ، وسقاها ريق وبله » . هذا وقد عرف بالقضاء ؛ كما عرف بالشعر ؛ وعقدت عليه دراسات ، ونشرت عنه ابحاث ؛ واحيا المحققون رحلته .

من ازاهير شعره :(٥٩)

حاولت ان اقدمه (شاعراً)واترك امره (قاضيا) . وابتعد في بحثي هذا عن نهج التقليد ، واثر الاعادة والترديد .

قال رحمه الله تعالى ـ دخل علي الاديب

(ابن صارة) وبين يدي نار علاها رماد . فقلت له : قل في هذه ، فقال :(٦٠)

شابث نواصي النار بعد سوادهـــا
وتسترت عنـــا بثـــوب رمـاد

ثم قال لي : اجز ، فقلت :

شابت كما شبنا وزال شبابنا
فكانما كنّا على ميعـــاد

ومن رائق نظمه :(٦١) ومن رقة شعره :

انتنـــي تؤنبنـــي بالبكـــا
فاهـــلا بهـــا وبتانيبهـــــا

تقول وفي نفســـها حســـرة :
ابكى بعـــين تراني بهـــا ؟

فقلت : اذا استحسنت غيركم
امرت جفـــوني بتعذيبهـــا

ومن شعره وهو في شوق الى (بغداد)(٦٢) :

امنك سرى والليل يخدع بالفجـــر
خيال حبيب قد حوى قصب الفخر ؟

جلا ظلم الظلمـــاء مشـــرق نوره
ولم يخبط الظلماء بالانجم الزهـــر

ولم يرضَ بالارض البسيطة مسكنا
فسار على الجوزا الى فلك يجـــري

وختمها بقوله :

سقى الله مصراً والعراق واهلهـــــا
وبغـداد والشـامين منهمل القطـــر

ومن طرائف ما رواه في (رحلته) للعراق . قال :(٦٣)

انه كان بمدينة السلام امام من الصوفية واي امام يعرف بابن عطاء . فتكلم يوما على يوســـف واخباره حتى ذكر تبرئته مما ينسب اليه من مكروه فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة . فقال يا شيخ ، يا سيدنا ، فاذن يوسف هم وما تم ، فقال نعم ، لان العناية من ثم فانظروا الى حلاوة العالم والمتعلم ، وفطنة العامي في سؤاله ، والعالم في اختصاره واستيفائه » .

آثاره ومؤلفاته :(٦٤)

ترك (ابن العربي) آثاراً كثيرة ، منها قد طبع وانتشر ومنها لا زال مخطوطا . ومن مؤلفـــاته المعروفة :

١ ــ انوار الفجر في تفسير القرآن . وهو من اكبر آثاره .
٢ ــ قانون التأويل .
٣ ــ احكام القرآن .
٤ ــ القبس في شرح موطأ مالك بن انس .
٥ ــ عارضة الاحوذي .
٦ ــ حديث الافك .
٧ ــ ترتيب الرحلة .
٨ ــ نواهي الدواهي .
٩ ــ المواصم من القواصم .
١٠ــ الناسخ والمنسوخ .

الطبيب ابو الفضل محمد بن عمر الجلياني(٦٥)

(٥٣١هـ ــ ٦٠٢هـ)

(حكيم من الاندلس)

طبيب ، اديب ، رحالة ، سائح ، مؤلف ، شاعر ، اصله من (وادي آش) . ولد بقـــرية (جليانة) التابعة (لغرناطة) . وصل في رحلته الى القاهرة ، ودمشق ، ودخل بغداد سنة ٦٠١هـ . وسكن المدرسة النظامية .

صفاته :

اشتهر بادبه ، وشعره ، وحكمته ، وطبه ، وبراعته في الرياضيات ، وادب النفس مع حسن في الاخلاق ، ولطف في المعاشرة ، وحضور في الاجابة ولقبوه (بحكيم الزمان) . وسافر الى دمشق ، وحضر مجلس السلطان (صلاح الدين الايوبي) واتصل بحاشيته . وكان من معاصريه القاضـــي الفاضل ، وترجمه صاحب (خريدة القصر) واشاد بشاعريته وفنون ادبه .

ازاهير من شعره :(٦٦)

ترك الشاعر دواوين شعر عديدة ، ذكرها لنا صاحب (فوات الوفيات) ابن شاكر الكتبـي(٦٧) وتغلب على شعره الحكمة ، والكرامة ، وعـــزة النفس ، واستعمال المحسنات البديعية ، اسوة ببعض شعراء عصره .

ومن جيد شعره :

فابخس شيء حكمة عند جاهـــــل
واهـون شـيء فاضـل عند ظالـــم

فلو زفت الحســـناء للذئب لم يكـن
يرى قربهـــا الا لاكـــل المعاصـــم

ومن لطيف وجدانياته :

اؤمل لقياكم وان شطت النوى
وازجر قربا في مرور الموانح
وذكى اشتياقي زند تذكار عهدكم
وما الشوق الا بعض نار الجوانح

ومن حكمه :

قالوا ترى نفرا عند الملوك سموا
وما لهم همة تسمو ولا ورع
وانت ذو همة في الفضل عالية
فلم ظمئت وهم في الجاه قد كرعوا ؟
فقلت : باعوا نفوسا واشتروا ثمنا
وصنت نفسي فلم اخضع كما خضعوا
قد يكرم الفرد اعجابا بخسته
وقد يهان لفرط النخوة السبع

ومن شعره :

لابد للجسم من قوام
فخده من جانب اعتدال
واقرب من العز في اتضاع
واهرب من الذل في المعالي

ومن بديع قوله :(٦٧)

الا انما الدنيا بحار تلاطمت
فما اكثر الغرقى على الجنبات
واكثر من لاقيت يغرق الفه
وقل فتى ينجي من الغمرات

وقال من اشعاره الحكمية :(٦٨)

قالوا نراك عن الاكابر تعرض
وسواك زوار لهم متعرض
قلت الزيارة للزمان اضاعة
واذا مضى زمن فما بتعوض
ان كان لي يوما اليهم حاجة
فبقدر ما ضمن الغضاء تقيض

ومن اشعاره الدالة على عزلته ، وبعده عن المشاكل . قوله :(٦٩)

خبرت بني عصري على البسط والقبض
وكاشفتهم كشف الطبائع بالنبض
ارى الشخص من بعد فاغضي تغافلا
كمشدوه بال في مهمته بمضي
ويحسبني في غفلة وفراستي
على الفور من لمحي بما قد نوى تقضي
اجانبهم سلما ليسلم جانبي
وليس لحقد في النفوس ولا بغض
تخليت عن قومي ولو كان ممكن
تخليت عن بعضي ليسلم لي بعضي

ومن شعره في مدح السلطان صلاح الدين الايوبي قوله :(٧٠)

ايا ملكا افنى العداة حسامه
ومنتجعا افنى العفاة ابتسامه
لقاؤك يوما في الزمان سعادة
فكيف بشاو في حماك حمامه
.. اتينا لما عودتنا من مكارم
يلوذ بها الراجي فيشفى غرامه
فرحماك غوث لا يغيب نصيره
ونعماك غيث لا يغب انسجامه

آثاره ومؤلفاته :(٧١)

من آثاره النثرية .
١ ـ ديوان الحكم وفتور الحكم .
٢ ـ ديوان المشوقات .
٣ ـ ديوان السلوك .
٤ ـ ديوان نوادر الوحي .
٥ ـ ديوان تحرير النظر .
٦ ـ سر البلاغة وصنائع البديع .
٧ ـ ديوان المبشرات .
٨ ـ ديوان الغزل والتشبيب والموشحات والدوبيت .
٩ ـ ديوان تشبيهات والغاز ورموز واحاجي واوصاف وخمريات .
١٠ـ ديوان ترسل ومخاطبات .
١١ـ منادح المادح وروضة الماثر والمفاخر ، في خصائص الملك الناصر .
١٢ـ جامع انماط المسائل في العروض والخطب والرسائل .

سعدالخير بن محمد الانصاري البلنسي(٧٢)

(توفي ـ ٥٤١هـ)

(رحالة من الاندلس)

التعريف بشخصيته :

هو ابو الحسن الانصاري سعدالخير بن محمد بن سعد . محدث . رحالة . لم يترك ارضا الا

زارها في المشرق ووصلت خطواته الى (الصين) . وكان يسمي نفسه بالصيني البلنسي . وهو اشبه بأبي حامد الغرناطي . صاحب (تحفة الالباب) . وابن جبير الكناني ، وابن سعيد المغربي . الا انه اختلف عنهم وفاقهم جميعا في الوصول الى(الصين) وسدها العظيم ! ! وتشابه مع (ابن بطوطة) . في حياته ، وزواجه ، غير انه اكثر علما ، ورواية ، وفقها ، منه .

صفـــاته :

كان من صفاته حب المغامرة ، والصبر على المشاق وركوب البحار ، وقطع الفيافي والقفار ، ومصاحبة العلماء ، ومجالسة الادباء .

ومن اساتذته : ابو زكريا التبريزي ، وابو حامد الغزالي . وروى عنه السمعاني ، والكندي ، وابن الجوزي ، وطوف بالبلاد ، ثم عاد مشتاقا الى بغداد ومات فيها سنة ٥٤١هـ . ودفن بحسب وصيته في تربة الامام احمد بن حنبل (رض) .

آثاره :

كان هذا الرحالة الاندلسي ، كما يبدو مجدا ، لا مؤلفا ، ولعل له رحلة مخطوطة ، ومشاهدات طريفة عن البلاد التي زارها وسكنها في اقاصي المشرق . وفي وسط الجزيرة العربية . نامل ان تكشف لنا الايام القابلة . والسنين الاتية ، عما خفي من آثاره ومولفاته .

لقد اخترته مثالا للعالم المغامر ، والرحالة الرائد ، والمحب المعجب ببغداد ، بحيث انه فضلها على البلاد التي زارها ، وعاوده الشوق اليها . ثم مات في تربتها ، بين اعلام العلم ورجال الفضيلة ، واساطين السياسة ، ومشاهير الادب ! !

* * *

هذه دراسة ارجو انني وفقت في عرضها ، وتقديم الصورة الواضحة ، عن مضمونها ، واعطاء النماذج من الشخصيات الاندلسية ، التي زارت (بغداد) وتعلمت فيها ، وتركت آثارا في دروبها . ونقلت العديد من تراثها الفكري والعلمي والادبي لبلادها . فكم (لبغداد) من ايادٍ لا تنسى على الناس ! ! وعلى (الاندلس) . وكم لها من فضل لا تمحو آثاره احداث الزمن ! !

الهوامش

(١) راجع / معجم البلدان المجلد الاول ص / ٥٤ .
(٢) راجع / المصدر السابق ص / ٤٦ .
(٣) راجع / المصدر السابق ص / ٤٦ .
(٤) راجع / المصدر نفسه ص / ٤٦ .
(٥) راجع / المصدر نفسه ص / ٤٦ .
(٦) راجع / الروض المعطار ص / ٥٤ .
(٧) راجع / نفح الطيب ج / ١ ص / ٦١٦ .
(٨) راجع / المصدر نفسه ج / ١ ص / ٥٩ .
(٩) راجع / المصدر نفسه ج / ١ ص / ٢١٠ .
(١٠) راجع / المصدر ذاته ج / ١ ص / ٤٦٠ .
(١١) راجع / المصدر ذاته ج / ١ ص / ٤٦١ .
(١٢) راجع / مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد . العدد / ١١ سنة ١٩٦٨ . ص / ١٤٦ وما بعدها .
(١٣) راجع / البيـــان المغرب ج / ٢ ص / ١٢٦ . وتاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص / ٢٢٩ .
(١٤) راجع / البيان المغرب ج / ٢ ص / ١٣٥ وما بعدها . وتاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ص / ٢٢٨ وما بعدها .
(١٥) راجع / الذخرة في محاسن اهل الجزيرة ، لابن بسام القسم الاول ـ المجلد الاول . ص / ٢٩٧ وما بعدها .
(١٦) راجع / المصدر نفسه ـ مقدمة الكتاب ص / ب وما بعدها . و ص / ٢٠ من مقدمة المؤلف .
(١٧) راجع / الذخيرة ـ القسم الاول ـ المجلد الاول . ص / ٢ .
(١٨) راجع / نفح الطيب ج / ١ ص / ٦٠٩ و ج / ٢ ص / ٢٧ .
(١٩) راجع / المصدر نفسه ج / ٢ ص / ٢٥ وما بعدها وكتاب المواصم من القواصم ، لابن العربي ص / ٢٠ .
(٢٠) راجع / دراستنا عن (الحميدي) في مجلة كلية الاداب ـ العدد / ١٠ ص / ١٧٩ وما بعدها ـ ١٩٦٧م . جامعة بغداد .
(٢١) راجع / عن رحلة بنيامين التطيلي ، كتاب تاريخ الادب الجغرافي ، للمستشرق كراتشكوفسكي ج / ١ ص / ٢٢٨ والرحلة نفسها المطبوعة في بغداد سنة ١٩٤٥م .
(٢٢) راجع / عن ابن جبير ورحلته . نفح الطيب ج / ٢ ص / ٢٨١ . ورحلة ابن جبير بطبعات متعددة .
(٢٣) راجع / عن رحلة (ابن حوقل) . تاريخ الادب الجغرافي. ج / ١ ص / ٢٠٠ ورحلة ابن حوقل في المكتبة الجغرافية .
(٢٤) راجع / الشعر الاندلسي ، لغرسيا غومز ص / ٢٨ ودراستنا (الاندلسيون الاوائل من حملة الثقافة العراقية) مجلة كلية الاداب العدد / ١١ ص / ١٤٦ / ١٩٦٨م .
(٢٥) راجع / البيان المغرب ج / ٢ ص / ١٨٨ .
(٢٦) راجع / عن ابي علي القالي البغدادي ـ دراستنا عنه في كتابنا (ادباء بغداديون في الاندلس) بغداد . ط ١٩٦٢ ص / ١٢ .
(٢٧) راجع / عن صاعد البغدادي . دراستنا عنه في مجلة كلية الاداب . جامعة بغداد . العدد / ٦ سنة ١٩٦٣ . ص / ٢٦٥ .
(٢٨) راجع / دراستنا عن (ذرياب المغني البغدادي) في (ادباء بغداديون في الاندلس) ص / ٤١ وكتاب (قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس) ج / ٢ ص / ٨٧ وما بعدها .

(٢٩) راجع / عن المغنية (قمر) البيان المغرب ج / ٢ ص / ١٩٤ ونفح الطيب ج / ٢ ص / ١٤٠ .
(٣٠) راجع / الابيات في نفح الطيب ج / ٤ ص / ١١٥ .
(٣١) راجع / الذخيرة . القسم الرابع / المجلد الاول ص/٧٧ .
(٣٢) راجع / المصدر السابق . القسم الاول ، المجلد الاول ص / ١٨ .
(٣٣) راجع / نفح الطيب ج / ٣ ص / ٥ وما بعدها .
(٣٤) راجع / المصدر السابق ج / ٣ ص / ١١٩ .
(٣٥) راجع / المصدر السابق ج / ٣ ص / ١١١ .
(٣٦) راجع / قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس . ج / ١ ص / ٥٨ و ص / ٥٩ .
(٣٧) راجع / المصدر السابق ج / ١ ص / ٥٥ .
(٣٨) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ١٥٦ .
(٣٩) راجع المصدر نفسه ج / ٢ ص / ٦٢٥ .
(٤٠) راجع / المصدر نفسه ج / ٢ ص / ٢١٤ .
(٤١) راجع / المصدر السابق ج / ٢ ص / ٦٧ وبهامشه عدة مصادر عنه .
(٤٢) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ٦٨ .
(٤٣) راجع / الذخيرة لابن بسام ـ القسم الثاني ـ المجلد الاول ص / ٨٠ وما بعدها .
(٤٤) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ٧٤ ولم اجد النص هذا في القلائد .
(٤٥) راجع / عن الباجي وحياته معجم الادباء ج / ١١ ص / ٢٤٦ . والمرقبة العليا ص / ٩٥ . ونفح الطيب ج / ٢ ص / ٧٧ .
(٤٦) راجع / المناظرة في نفح الطيب ج / ٢ ص / ٧٧ .
(٤٧) راجع / الذخيرة . القسم الثاني ـ المجلد الاول ص / ٨٢ . وله اشعار في نفح الطيب ج / ٢ ص / ٧٥ وما بعدها .
(٤٨) راجع / مؤلفاته في نفح الطيب ج / ٢ ص / ٦٩ .
(٤٩) راجع / معجم الادباء ج / ١١ ص / ٢٦٤ وما بعدها .
(٥٠) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص ١٢ . والمرقبة العليا ص / ٥٩ . وجذوة المقتبس ص / ٦٩ .
(٥١) راجع / جذوة المقتبس ص / ٦٩ وما بعدها . ونفح الطيب ج / ٢ ص / ١٢ وما بعدها .
(٥٢) راجع / الابيات في المصدرين السابقين (الجذوة) ص / ٧٠ والنفح ص / ١٤ .
(٥٣) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ١٢ .
(٥٤) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ١٢ وفي الجذوة ص / ٧٠ رواية اخرى للابيات مع زيادة .
(٥٥) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ٢٥ . والمواصم من القواصم ص / ١٠ .
(٥٦) راجع / المواصم من القواصم ص / ١٧ .
(٥٧) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ٢٦ .
(٥٨) راجع / مطمح الانفس ط١ / الجوانب ـ الاستانة ١٣٠٢ ص / ٦٢ . وكذلك نفح الطيب ص / ٣٣ ـ ج / ٢ .
(٥٩) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ٣٠ .
(٦٠) راجع / المصدر السابق ج / ٢ ص / ٣٠ .
(٦١) راجع / المصدر السابق ج / ٢ ص / ٣٠ .
(٦٢) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ٢٤ .
(٦٣) راجع / المصدر ذاته ج / ٢ ص / ٤١ .
(٦٤) راجع / المواصم من القواصم ص / ٢٧ وما بعدها . ونفح الطيب ج / ٢ ص / ٣٥ .
(٦٥) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ٦٢٥ و ج / ٢ ص / ٦١٤ وقد ترجمه مرتين ، راجع / الذيل والتكملة ج / ٥ ص / ٥٧ .
(٦٦) راجع / مجموعة من اشعاره في (فوات الوفيات) ج / ٢ وفم ٢٦٢ . ص / ٣٥ .
(٦٧) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ٦١٤ .
(٦٨) راجع / المصدر السابق ج / ٢ ص / ٦٢١ .
(٦٩) راجع / المصدر نفسه ج / ٢ ص / ٦٢٦ .
(٧٠) راجع / المصدر نفسه ج / ٢ ص / ٦٢٧ .
(٧١) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ٦١٤ وفوات الوفيات ج / ٢ ص / ٣٥ وما بعدها .
(٧٢) راجع / نفح الطيب ج / ٢ ص / ٦٢٢ .

اهم المصادر والمراجع

المصادر القديمة :

١ ـ نفح الطيب ـ ط١ / صادر ـ بيروت / ١٩٦٨م .
٢ ـ قلائد العقيان ـ لابن خاقان ـ مصر ١٢٨٤هـ .
٣ ـ المغرب ـ لابن سعيد ـ ط١ / مصر ١٩٥٣م .
٤ ـ الذخيرة ـ لابن بسام ط١ / مصر ١٩٣٩م .
٥ ـ الذخيرة ـ لابن بسام ط١ / مصر ١٩٧٥م .
٦ ـ مطمح الانفس ـ لابن خاقان ط١ / الاستانة ١٣٠٢هـ .
٧ ـ المرقبة العليا ـ للنباهي ط١ / مصر ١٩٤٨م .
٨ ـ البيان المغرب ـ لابن عذاري ط١ / بيروت ١٩٥٠م .
٩ ـ معجم البلدان ـ لياقوت ط٢ / دار بيروت ١٩٧٧م .
١٠ـ معجم الادباء ـ لياقوت ـ دار المأمون ـ مصر ١٩٣٦م .
١١ـ فوات الوفيات ـ لابن شاكر ط١ / مصر ١٩٥١م .
١٢ـ جذوة المقتبس ـ للحميدي ط١ / مصر ١٣٧٢هـ .
١٣ـ الذيل والتكملة ـ للمراكشي ط١ / بيروت ١٩٦٥ م.
١٤ـ المواصم من القواصم ـ لابن العربي ط٢ مصر ١٣٧٥هـ .

المراجع الحديثة :

١ ـ قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس . للدكتور السيد عبدالعزيز سالم ، ج/١/ط١/بيروت / ١٩٧١ .
٢ ـ قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس . ج/٢ ط/١ بيروت/ ١٩٧٢ .
٣ ـ الشعر الاندلسي . غرسيا غومز (الطبعة العربية) ط/٢ القاهرة ١٩٥٦م .
٤ ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس . للدكتور السيد عبدالعزيز سالم ، ط/١ ـ دار المعارف ـ بيروت ١٩٦٢ .
٥ ـ ادباء بغداديون في الاندلس . للدكتور محسن جمال الدين، بغداد ـ ١٩٦٢م .
٦ ـ تاريخ الادب الجغرافي . للمستشرق كراتشكوفسكي ، الطبعة العربية ـ مصر ١٩٦٣م .
٧ ـ مجلة كلية الاداب ـ جامعة بغداد / ١٩٦٣م .
٨ ـ مجلة كلية الاداب ـ جامعة بغداد / ١٩٦٧م .
٩ ـ مجلة كلية الاداب ـ جامعة بغداد / ١٩٦٨م .
١٠ـ الاعلام ـ للزركلي ط/٢ القاهرة ١٩٥٩م .
١١ـ معجم المؤلفين ـ لعمر كحالة ط١ / دمشق ١٩٥٨م .
١٢ـ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) مصر ١٩٣٣م .